ياسر العظمة.. لوحات تقرأ المستقبل نستعيدها كأنها اليوم!

عندما يكون الفن حاضراً ونابعاً من الوجدان يصبح قادراً على الاستشراف

سارة سلامة

لطالما تغنت الدول بمنجميها وتسابقت المحطات على بث استقرار واسع لهم على مدار عام كامل ليتنبؤوا بتفاصيل ربما تخيب أو تصيب، وكما يحق للتلفزيون الأميركي الفرح في إنجاز مسلسل عائلة «سيمبسون» الذي تنبأ بالكثير من الوقائع واستطاع ربما محض الصدفة على السفر عبر الزمن وقراءة المستقبل، كذلك يجب أن نمتهن نحن الفخر من خلال فنان عريق استقرأ الواقع السوري الحالي منذ ثمانينيات القرن الماضي حتى اليوم في ثنائيّات الخير والشر، وقدّر للفنان ياسر العظمة تناول الواقع الثقافيّ والتربويّ والاقتصاديّ والتعليميّ والعادات والتقاليد، بقصص أحياناً تكون من الأدب العالمي، أو من وحي الحياة، وتنوع في الأماكن واللهجات السوريّة المستخدمة في قصص «مرايا» مثلاً، قرى السويداء، مجتمع الغوطة، بيوت الشام القديمة.. وغيرهم، حيث عكس في كلّ بيئة هموماً، عادةً ما تكون مرتبطة بالمواطن والمسؤول، أو الحاكم والمحكوم، أو القوي والضعيف، أو الصادق والكاذب.

وباء يضرب

وقام صاحب سلسلة مرايا الشهيرة على رصد الواقع السوري وتحدث عن مواقف ومحطات كثيرة مررنا بها وما زلنا إلى اليوم نتذكره بلوحة ما أو جملة مؤثرة قالها، كثيرة هي الأشياء اللافتة في هذه السلسلة الدرامية الساخرة التي امتدت لثلاثة عقود منها حين أنشد العظمة في «مرايا ٨٦» أغنية «لا تلمس لالا»، قبل أكثر من ٣٠ عاما من الآن، واستطاع بثقافته المعهودة أن يستكشف في لوحة «وباء يضرب ضيعة أم التنين» من مرايا ٢٠١١ النظرية واللعبة الاقتصادية ووباء كوفيد ١٩، مغنياً بأسلوب فكاهي ساخر: «خبي لا تصافحني بنوب.. لا تلمس يدي يمكن في عندك ميكروب.. بدي اقعد وحدي... لا تقرب لا لا.. خبي لا تصافحني بنوب... لا تلمس يدي يمكن في عندك ميكروب.. واللمس بيعدي».

تقترب بعض اللوحات الكوميدية من الخيال العلمي الذي يثير الضحك ليتحقق بعد سنوات!

الكهربا والوعود

كما تناول في إحدى لوحات (مرايا ٩٥) واقعنا الكهربائي المؤسف عن المولدات والوعود وأيضاً عن البواخر لنعود بالزمن إلى أكثر من ٢٥ عاماً.

حيث كان يجلس في ورشة نجارة ويستعجل في عمله قبل انقطاع التيار الكهربائي، قائلاً: لايمتي رح يضلوا يقطعوا الكهربا.. الله وكيلك يا أبو حمدي الي ماشي بسوق الصالحية أو الحمرا كأنه ماشي بمعمل من كثرة المولدات.. الوعود كثيرة منها بالمرفأ باخرة عليها محطة توليد ستكفي البلد.. والمحطة الحرارية تبنى ولم يبق لها إلا القليل لتكون جاهزة.. والعنفات بالسد عاطلة لا يعمل منها إلا ٢ من أصل ٨... وو».. وغني للكهرباء والفيجة معاً، قائلاً: «مافي نتيجة.. مافي نتيجة.. يومياً عم يقطعوا الكهربا والفيجة.. ولادي كلهم مجتهدين.. عم يقروا درسون ع الشمعة.. وبالعتمة ع اللحمسة.. خبرنا الشركة قالوا مافي نتيجة...».

ناشد المغتربين

وخاطب في إحدى اللوحات ابنه العائد من الغربة بصوت قد يلامس الكثيرين ممن هاجروا سورية، قائلاً: «ولك هاد البلد بلدك.. لو طولت لو قصرت بلدك.. لو أخدت الجنسية الأجنبية بتضل هالبلد بلدك.. ولك ذكرياتك فيها.. شربت من مطرها ومن ينابيعها.. اتغذيت من ترابها من قمحها من فواكيها وأثمارها.. أما البلد الأجنبي يلي عم تفتخر فيه فحياتك فيه صناعية مصطنعة حياة متكلفة.

عيشة مستعارة كلا مداراة وخوف من لحظة الطرد والاستغناء عن الخدمات..

صحيح بلادنا مالها متل بلادون وفيها كتير أخطاء بس انتو يلي بتصحوها جيلكون يلي لازم يعدل المسار ويوازن الكفة.. أما الهروب والتقاعس وترك الشقا لمين بقا فهاد هو العجز يا ابني هاد هو التملص من المواجهة والمسؤولية.. يا ابني لا تقول يا ريتني ما رجعت.. هاد كلام كبير لح تندم عليه بيوم من الأيام.. لأنو الطير مهما طار عن ولا هون بدو يرجع لعشو ويستريح.. وإذا ما رجع لح يضل تايه بهالدنيا ويوم يلي بيتعبو جناحاتو شوف وين بدو يوقع ويموت».

مشهد مستقبلي

كما لوّح في حلقة «إنترنت» التي عرضت في العام ٢٠٠٣، والتي كتب فكرتها «سعيد شاويش» وأخرجها «سيف الدين سبيعي»، بطولة «ياسر العظمة، صباح جزائري، وائل شرف، رواد عليو، هالة حسني»، في مشهد مستقبلي، فيظهر الجميع بلباس غريب وهو أشبه بمايقدم في أفلام الخيال العلمي في السينما الأميركية، كما يلتقي الأخوة في بيت واحد بالصدفة، ويدعون بعضهم للزيارة عبر الإنترنت، وهو مايحدث حالياً في واقعنا بعد دخول الهواتف المحمولة والإنترنت وعصر السوشال ميديا التي زادت من الفجوة والتباعد الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة وتحت مسمى «تواصل اجتماعي».

كما أشار إلى أن الدراسة ستكون من خلال الإنترنت، وهو ما نعيشه خاصة بعد أزمة «كورونا»، وكان مشهد تقديم العزاء عبر الإنترنت الأكثر واقعية حيث تقف العائلة أمام شاشة الإنترنت وتتلقى كلمات المواساة والتعزية «صوت وصورة» يقول المعزي «عظم الله أجركم» وتقف العائلة مرددة « شكر الله سعيكم»، هذا المشهد قريب جداً حيث أصبح العالم يتلقى التعازي في أحياء وأصدقاء من دون إمكانية الحضور بسبب الحظر الذي فرض وأجبر الناس على التعزية من خلال الإنترنت.

كما رصد وتناول مسلسل مرايا خلال عقود الظواهر والتغيرات التي طرأت على المجتمع السوري بداية من دخول التلفاز وتأثيره على العائلة والهوة التي لحقته إلى الهاتف الأرضي واللاسلكي عام ٩٩-٢٠٠٠ ثم لوحة كاشف الرقم على الهواتف الأرضية في مرايا ٢٠٠٠ وصولاً إلى حلقة يكون فيها الشباب مقبلين بشكل كبير على الهجرة، ولوحة عمليات التجميل وكيف أصبحت المرأة مصطنعة والكثير من العبر والدروس والاستقراء، مازال رواد مواقع التواصل يتداولون العديد من المقاطع واللوحات الخاصة بالعمل على صفحاتهم الخاصة.

«باربي» أكثر واقعيةً وقرباً من الفتيات

الدُمى هي الخطوة الأولى لتطوير مهارات الطفل وإطلاق خياله

سوسن صيداوي

الإلهاء، إطلاق الخيال، توسيع المدارك، أمور -يضاف إليها المزيد- تقدمها الدمى للطفل أثناء نموّه، ولربما لم يكن الإنسان الأول يدرك تماماً مدى أهميتها، حيث صنعها بداية للتذكار من العظام والأحجار، ولكن مع تطور الحضارة البشرية بدأت الدمى تتنوع وتختلف بأشكالها ما بين البشرية والأشكال الأخرى، وتتبلور لتأخذ مكانها الوظيفي في تربية الطفل وتقويم سلوكه، فأصبح هناك الدمى الخشبية والمصنوعة من القماش، الخزف، الفخار، البورسلان، البلاستيك، المطاط. وبحسب البلد الذي يصنّعها، وتعتبر اليابان من أكثر دول العالم تنوعاً باهتمامها بالدمى، هذا وعن أشهر الدمى في العالم وأهميتها بالنسبة للطفل نتوقف عند بعض النقاط.

الأكثر تداولاً

يرتبط نوع الدمية أو اللعبة بالطفل نفسه سواء أكان ذكراً أم أنثى، فالطبيعة المختلفة وعمر الطفل، يجعلان من الطلب متنوعاً، وبالعموم الفتيات يرغبن بالعرائس، على حين الصبية يطلبون نوعية يتمكنون خلالها من التركيب والفك أو الركض.... إلخ. ولكن في موضوعنا هنا نذكر الدمية «باربي» الأخيرة، ومن فترة قامت شركة «ماتيل» المنتجة لها، بتكريم ست نساء يعملن في مجال الصحة وعلى الخطوط الأمامية أثناء وباء كورونا، وذلك بإطلاق سلسلة العاب «باربي» تشبههن، هذا وأعمارهن مختلفة، وجنسياتهنّ متعددة، وأعراقهنّ متنوّعة، ولن تبقى قصصهنّ منشورة فقط على مواقع الأخبار ومعروفة ضمن مدنهن وبلادهن، بل أصبحن اليوم دمى صغيرة مجسّمة، يمكن للأطفال شراؤها وإطلاق العنان لخيالهم أثناء اللعب.

هذه الحركة التي قامت بها الشركة المنتجة ذكية جداً، أولاً لأنها طورت من منتجها وجعلته أكثر واقعية وقريباً من الناس في أنحاء المعمورة قاطبة، كما زادت من هامش الربح، لأن الأهالي لكل الفتيات يسعون دائماً لشراء العرائس وعلى الخصوص الـ«باربي». وعن بداية العلاقة بين الطفل ودميته أخبرتنا إيمان عمر المخرجة المسرحية والممثلة في مسرح العرائس في حديث خاص بـ«الوطن» قالت: «من الطبيعي أن يقوم الأهل بشراء الدمى للطفل، بغض النظر عن شكلها سواء أكانت بشرية أم لمجسمات حيوانية، والتي يختلف شكلها بحسب عمره، كما تعتبر الألعاب من أولويات ممتلكات الطفل الذي من خلالها يتمتع بالسلطة عليها، ويملك ساحة من الحرية باللعب بها مع من يريد من الأهل أو أخوته وأقاربه، حتى لا يوجه له الأهل أي لوم أو تنبيه أثناء وقت اللعب، بمعنى أن لعبته تمنحه مساحة من الحرية والاستقلالية، ومع نشاطاته برفقتها وبالحديث معها وقضاء أوقاته وهي بقربه وحتى في أثناء نومه، هنا ينمو لديه شعور الاطمئنان والراحة بالوقت الذي تكون فيه أمه مشغولة عنه».

وفي ضرورتها

إنتاج الدمية له أهميته، فالغاية ليست فقط ربحية، بل هي أيضاً لها تأثيرها البالغ على المجتمع عموماً وعلى الطفل خصوصاً، فهناك أهداف من إنتاجها وبأشكالها المتعددة والمتنوعة، وعندما تمّ إنتاج الدمية «باربي» ومنذ السنوات الأولى لظهورها في ساحة لُعب الأطفال، اهتمت الشركة بأن يكون لها العديد من المهن وهي أكثر من مئتي مهنة على مدار الستين عاماً من بداية إنتاجها، فهي: أميرة، ممرضة، طبيبة، معمارية، سيدة أعمال، عالمة، رائدة فضاء، وصولاً إلى ترشحها لرئاسة الولايات المتحدة. إذاً هذه الشخصيات للدمية لكي تكون قدوة للطفلات اللواتي يطلبن من الأهل شراءها لهن، يجب أن يكون تأثيرها فاعلاً في بناء شخصية الطفلة ودفعها دائماً نحو مستقبل جيد لكونها القدوة الأولى لها وتمضي أوقات اللعب معها، وهذا ما أكدت عليه إيمان عمر متابعة حديثها «للدمية دور كبير بالتأثير على سلوك الطفل وتوجيهه، وخصوصاً إن كان طبعه عنيداً ولا يصغي لأوامر الأهل وتوجيهاتهم، فوجود الدمية وإقحامها بالسلوك اليومي من تناول الطعام والاستحمام وغيره الكثير، ومعاملتها من الأهل على أنها تعيش معهم حقاً وكفرد من العائلة في كلّ النشاطات، يجعل الطفل يقتدي بها حكماً لأنها بالدرجة الأولى صديقته المقربة».

وعن أهمية عروض مسرح العرائس وتأثيرها بتحقيق الترفيه وتقديم الأفكار والمعلومات الجديدة، مع توجيه السلوك ختمت إيمان عمر «لا يمكننا أن نتحدث عن الدمى والعرائس ولا نتطرق للحديث حول أهمية مسرحها الخاص، الذي أصبح اليوم له دور فاعل بتوجيه سلوك كلّ الأطفال إضافة إلى ذوي الهمم ومنهم أطفال التوحد، فالدمية من أهم وسائل التواصل لكونها جسر الاتصال معهم، ومن خلالها تقدم المعلومات لهم، وهم يقومون بتقليدها بكل ما نريد منهم أن يفعلوا، وهنا أختم بالإشارة إلى أن الدمى والعرائس في المنزل لها ضرورتها الكبيرة، لكونها تصرف الطفل عن الاهتمام بالتكنولوجيا والسوشال ميديا واليوتيوب، كما أنها أصبحت اليوم عقبة صعبة يواجهها الأهل مع الأطفال. إذاً للدمى ساحة كبيرة بكل العالم وليس فقط بمكان واحد».

تبقى «باربي»

تحدثنا عن التأثير الإيجابي لدمية «باربي» الأخيرة التي طالها الكثير من الاتهامات، ونذكر منها في ختام مقالنا، تكوين وشكل جسد هذه الدمية غير منطقي، فلو كانت امرأة حقيقية من لحم ودم لما استطاعت المشي أو حتى حمل رأسها على كتفيها، ولكنها رغم ذلك تدفع الكثير من الفتيات للقيام بعمليات التجميل للحصول على جسد مثالي، هذا من جهة ومن جهة أخرى رغم محاولات الشركة المنتجة الجادة بالخروج عن نمطية فكرة الفتاة الشقراء الجذابة التي لا تهتم سوى بالثراء وبالأزياء، وبأن تكون «باربي» رائدة في الكثير من المجالات، ما زال جارياً ليومنا هذا وصم المجتمع للفتيات والنساء بكونهن «باربي»، والذي بظاهره يبدو مديحاً، إلا أنه في باطنه تشكيك بمستوى ذكائهن وكيفية تفكيرهن.

برجك اليوم 8/17

نجلاء قباني

الحمل

ينبغي أن تعبر عن أفكارك، وخاصة أن الأجواء اليوم مشجعة للسفر واللقاءات فاليوم للمساعدة فالحواجز تزال والأخبار الجيدة تتوالى وحولك وعود متنوعة. عاطفياً: أنت قريب من أسرتك وواثق من قراراتك وهذا الشهر قد تقدم على خطوة مهمة في حياتك بمساعدة عائلتك.

الثور

اليوم قد يمنحك المساعدات المالية وقد تفكر بسفر يعيد لك الحيوية والطاقة التي تفتقدها فحولك أصدقاء جدد يسعدونك بمبادراتهم الإيجابية ومدحهم لك وإعجابهم بطريقة تصرفك.

عاطفياً: أنت تلتفت إلى عائلتك وتلم شملها وتبذل جهوداً إضافية لتصل إلى سعادة تتمناها.

الجوزاء

نوبات من الغضب يجب أن تتغلب عليها قبل أن تفقدك أصدقاء أنت تحبهم واترك الأمور حتى تكون أهدأ وأقل تسرعاً فكل ما يحصل حولك قد يزعزع ثقتك فيما تفكر لتسأل نفسك ولأكثر من مرة ماذا أفعل.

عاطفياً: أنت تخوض معارك صغيرة فقط لأنك عصبي أو مستعجل فخفف من المواجهات المحتملة.

السرطان

الأعمال المرهقة تقوم بها بنفسك ولكنك قد تكتشف أنك دائم الانشغال حتى إنك لا تجد وقتاً للراحة وهذا يجعلك تقترب من معاونين تستطيع الاعتماد عليهم في أوقات الشدة.

عاطفياً: أنت تتعرف على الكثير من الوجوه الجديدة التي تقبدك وقد تضع النقاط على الحروف في علاقاتك.

الأسد

أنت مقسم بين العمل والعائلة وكأنك محور اهتمام من حولك يعتمدون عليك ويفرحون لوجودك ويباركون لك إنجازاتك وفرصة فريدة لتشرح وجهة نظرك وتعبر عن نفسك وتقدم مواهبك ومهاراتك بشكل جيد.

عاطفياً: ولادة، أو خطبة أو فرح في أمورك الشخصية أو العاطفية أو تفرح لإنجاز عائلي.

العذراء

يوم جيد ولكن فيه كآبة نتيجة الجو المحيط أو أمور صغيرة تستطيع أن تتخطاها إذا بذلت جهوداً، فالمشكلة دائماً أنك تتكئ على ذاتك وتفضل أن تتألم بمفردك من دون أن تتنازل لتقبل معونة الأصدقاء. عاطفياً: قد تصبح انفعالياً أكثر من اللازم وقد تشعر أحياناً أنك تتخبط بمفردك الأمور مهتزة صحياً واجتماعياً.

الميزان

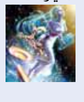

تبادر اليوم إلى اتصالات مجدية على الصعيد العملي أو العاطفي وأخبار سعيدة أو تطرأ عليك ظروف أو مفاجآت تجعلك مميزاً فربما تمتلك فيه شيئاً يسعدك فمحيطك داعم.

عاطفياً: أنت في أفضل حالاتك وتحاول إصلاح كل الأخطاء سواء في تواصل أسري أم في أفراح عائلية.

العقرب

تضطر لدفع مصاريف إضافية لم تكن بالحسبان فحاول أن تفكر أكثر فيما تصرف لأنك بحاجته وقد تتفاوض اليوم في أمر يخص العمل أو العاطفة فاهتم بحقوقك وطالب بها لأن الحظوظ حولك.

عاطفياً: أنت تفكر في أمورك العاطفية والعائلية وتذكر أننا نحتاج لكلام الحب أو الاهتمام للشريك.

القوس

أنت بحاجة لوقت لنفسك وتحتاج لتغيير الأجواء من حولك وتحتاج لتجديد طاقتك وتحتاج لتغيير أفكارك وتبدأ بالتخلص من الأشياء التي لا تحتاجها وتعيد ترتيب أولوياتك وتحتاج لتغيير أسلوبك في التعامل مع الآخرين.

عاطفياً: أنت تحتاج لتغيير روتينك وتحتاج لتغيير أسلوبك في التعامل مع الآخرين.

الجدي

ما زالت التيارات السلبية تجتاح حياتك وتعشش في الزوايا وتحتاج إلى كل صبرك ودبلوماسيتك لطردها فالعروض كثيرة ولكنك قد تكتشف أنها غير جدية أو غير صحيحة ما يجعلك محبطاً أو يائساً.

عاطفياً: قد تكون نقاشاتك حادة أحياناً وداخلك رغبة كبيرة في التغيير سواء أكان عائلياً أم عملياً.

الدلو

هذه فترة ممتازة لتتعرف على أوساط جديدة وتسعد بدعوات أو تعاود الاتصال بأشخاص فقدتهم وإذا كنت تبحث عن الحب فسوف تجده فأنت مشرق وجذاب وحولك الكثير من العلاقات السعيدة.

عاطفياً: تنعم بجو من الشعبية هذه الفترة والحقيقة أن هذا العام أصلاً هو عام التغيرات العائلية إلى الأفضل.

الحوت

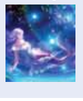

ابتعد عن إحباط نفسك فأنت سريع التأثر من أي كلمة أو أي تصرف حتى ممن لا يعنيك أمره ولا تحاول أن ترى الأشياء من حولك سوداء أو بيضاء فالأمور ليست هكذا.

عاطفياً: أنت في العموم منخفض المعنويات وشديد الانفعال سواء كان في العمل أم حتى في المنزل.